الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

الأستاذة نادية ابرايكات
باحثة بسلك الدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس، الرباط
المغرب

الملخص

الانغماس اللغوي هو أحد أهم أساليب التدريس لتنمية الكفايات اللغوية والثقافية لدى دارسي اللغة الثانية، ومفهوم الانغماس اللغوي يتأسس على ما يمكن أن تقوم به اللغة في السياق الاجتماعي حيث يكتسب الفرد اللغة التواصلية من خلال احتكاكه المباشر مع أفراد بيئته، ولا يجب إغفال المراحل العمرية والجوانب النفسية والاجتماعية واللغوية المختلفة، هذا ما يتم اعتماده عند تدريس اللغة لغير الناطقين بها وهو مبرمج في الاطر المرجعية سواء الأوربية أو الأمريكية

سيتناول البحث

تاريخ الانغماس اللغوي

مفهوم الانغماس اللغوي

أنواع الانغماس اللغوي واستراتيجياته

أ-الانغماس البيئي؛ بيئة طبيعية وبيئة اصطناعية أو افتراضية

ب.الانغماس العمري

1-انغماس مبكر

2-الانغماس المبكر الجزئي

3-الانغماس المتأخر

برنامج الانغماس في أمريكا وغيرها من الدول مع أنواع أخرى للانغماس.

ثم أخيرا خاتمة.

الكلمات المفتاحية: الانغماس اللغوي- اللغة- اللغة الثانية-الناطقين بغير اللغة.

تقديم:

تعد اللسانيات التطبيقية الحقل النظري المعرفي لحل مشكلات العالم ذات الأساس اللساني، ويدخل الانغماس اللغوي ضمن اختصاصاتها، ظهرت سنة 1947بجامعة ميشيغان Michiganعلى يد العالمين تشارلز فريز وروبيرت لادو، ساهمت جهود العديد من الباحثين بعدة جامعات كجامعة إيدينبروغ Edinbrugh 1956 ومركز اللسانيات التطبيقية بواشنطن 1957في حصر المجالات التي تدخل ضمن اختصاصها، نجد في كتاب (An overview of applied) نظرة عامة على اللسانيات التطبيقية "للعالمين Celve Murcie, (2013) Shmitt أن الجمعية الأمريكية للسانيات التطبيقية والمعروفة اختصارا ب (AAAL)حددت اختصاصاتها.

بذلك تخصصت اللسانيات التطبيقية في التعريف باللغة، وطريقة تعلمها واستعمالها من أجل الوصول إلى الأغراض المبتغاة وكذا حل مشاكل العالم الحقيقي .أما المواضيع التي تدخل ضمن اختصاصها فهي كثيرة أذكر منها "اللغة والتكنلوجيا –تعلم اللغة الثانية –الترجمة والتأويل والانغماس Immersion فما هو الانغماس؟ هل له جذور تاريخية؟ ماهي أنواعه واستراتيجياته؟ وكيف يمكنه المساهمة في حل المشاكل التواصلية؟

تاريخ الانغماس اللغوي:

يمكننا إرجاع تاريخ الانغماس اللغوي إلى عصر الجاهلية حيث كان العرب يرسلون أبناءهم في الطفولة المبكرة إلى البادية لفصاحة لغة أهلها، وقد جاء في كتاب تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرفاعي أن بنو مروان كانوا يلزمون أولادهم البادية لتخلص لغتهم وتسلم عربيتهم.

تحدث ابن خلدون عن الملكة اللغوية التي يكتسبها الفرد من بيئته عن طريق الاستماع والتواصل أو الترديد يقول ابن خلدون:" لو فرضنا صَبِيًّا من صبيانهم نشأ في جيلِهم ورُبِّيَ بين أحيائهم، فإنه يتعلم لغتَهم، ويُحْكِمُ شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها، وليس من العِلم القانوني في شيء، وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونُطقه، وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل" [1] في نفس الشأن يقول ابن فارس: "تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات، وتؤخذ تلقناً من ملقن، وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويُتقى المظنون" [2] نجد أيضا في كتاب "الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للدكتور رائد مصطفى عبد الرحيم وآخرون". [3]

إن كل الطرق التي تحدث عنها ابن فارس وابن خلدون تصب في دائرة الانغماس ويمكن الإفادة منها في الآتي:

1- معرفة أهمية السماع من أبناء اللغة مباشرة

2- معرفة سلوكهم اللغوي، وملاحظته، والتدرج في هذه المعرفة، وتكرارها فيضحون في ذلك شأنهم شأن الطفل متعلم اللغة من والديه وبيئته المحيطة .

3- ضرورة أن يتلقى أن يتلقن متعلم اللغة عن خبير فيها من أبناءها مباشرة يملي عليه جزئياتها.

4- أن قوانين اللغة وحدها لا تفي بغرض تعلمها وتعليمها بل يجب لهذا الانغماس أن يأخذ حظه، ليحصل المتعلم به على كفايات متعددة في مجتمع اللغة وبيئتها ويضحي قادرا على التعبير بطرقهم وأساليبهم.

وفي المزهر للسيوطي نبه أثير الدين أبو حيان إلى ان اللغة تحتاج إلى سماع من أهل ذلك اللسان "العجبُ ممن يُجيز تركيبا مَا في لغة من اللغات من غير أن يسمعَ من ذلك التركيب نظائرَ وهل التراكيب العربية إلا كالمفردات اللغوية فكما لا يجوز إحداثُ لفظٍ مفردٍ كذلك لا يجوز في التراكيب لأن جميعَ ذلك أمورٌ وضعية والأمورُ الوضعيةُ تحتاج إلى سماع من أهل ذلك اللسان والفرقُ بين علم النحو وبين علم اللغة أن علمَ النحو موضوعُه أمورٌ كلية وموضوعُ علم اللغة أشياء جزئية وقد اشتركا معا في الوضْع"

أما بشكل أكاديمي فيمكننا إرجاعه إلى سنة 1965م بمدرسة سانت لامبرت Saint Lambert بكندا، فاستنادا لرغبة وليلياء التلاميذ الناطقين باللغة الانجليزية Anglophones في تحسين أداء أبنائهم في اللغة الفرنسية كلغة ثانية وتمكينهم من التواصل الجيد بها ابتداء من رياض الأطفال.

مفهوم الانغماس اللغوي:

*الانغماس اصطلاحا: هو تحسين وتطوير الكفاءة اللغوية في لغة ما أو مستوى لغوي ما.

*الانغماس لغة: من جذر غمس بمعنى غطس في معجم المعاني الجامع، وفي معجم لسان العرب لابن منظور، انغمس إرساب الشيء في الشيء السيال أو الذي في ماء أو صبغ .والانغماس اللغوي كما تصفه العديد من الدراسات ينبني على أساس عنصرين ألا وهما التركيز على اللغة الهدف والممارسة اللغوية المستمرة حتى تترسخ الصفاة اللسانية في إنتاجها يقول الأستاذ الفاسي الفهري في كتاب اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية "المعرفة اللغوية المخزونة التي يكتسبها متعلم اللغة هي عينها التي يستعملها بصفة غير واعية في فهم وإنتاج اللغة ."

نستشف من هنا أن الانغماس اللغوي يهم اكتساب اللغة ارتباطا بالمقاربة التواصلية أي أن اكتساب المتعلم مصطلحات في سياقات ووضعيات تواصلية تجعله منغمسا في اللغة.

أنواع الانغماس اللغوي واستراتيجياته:

قسم الباحثون البيئة الانغماسية إلى ضربين:

أ- **الانغماس البيئي:**

1. **بيئة طبيعية:** يحتك فيها المتعلمون مباشرة بأبناء مجتمع اللغة الهدف، فيتعلمون منهم اللغة والثقافة المختلفة دون تخطيط مسبق بصورة تلقائية يومية كأن يعيشوا مع أسرة عربية.
2. **بيئة اصطناعية أو افتراضية:** وهي التي تصنع من خلال استراتيجيات ترسمها المؤسسة التعليمية لتغمس الطلاب في مجتمع اللغة سواء أكان ذلك على مستوى قاعة الدرس أو خارجها.

ب-الانغماس العمري: ويقصد به ذلك الانغماس الذي يبدأ فيه الطالب بتعلم اللغة الثانية

1- **انغماس مبكر** يبدأ من رياض الأطفال لا تدرس اللغة الأم إلا بعد ثلاث سنوات وتدرس على أنها اللغة الأولى لمعدل مرتين في الأسبوع، ولمدة نصف ساعة.

2- **الانغماس المبكر الجزئي:** تستخدم فيه اللغتان الأولى والثانية أداتي تعليم منذ بداية المدرسة (عندنا بالمغرب اللغة العربية الفصحى واللغة الفرنسية).

3- **الانغماس المتأخر:** وهو الذي يكون في المرحلة الثانوية وهو شبيه ما تقوم به وزارات التربية والتعليم في الدول العربية بإدخال لغات أخرى في التعليم المدرسي عندنا في المغرب إما الانجليزية أو الإسباني.

برنامج الانغماس في أمريكا وغيرها من الدول:

-البرنامج الانغماسي الكلي 100% : يقضي فيه المتعلم من الوقت لتعلم اللغة الثانية

-البرنامج الانغماسي الجزئي: يقضي الطالب نصف وقته في تعلم اللغة الثانية

-البرنامج ثنائي اللغة: وفيه تنغمس الأقلية اللغوية بالأكثرية في قاعة الدرس تكون لغة واحدة محور التعلم.

هناك أنواع أخرى للانغماس:

-الانغماس اللغوي المزدوج وهو برنامج ثنائي اللغة يهدف إلى إتقان لغتين إضافة إلى التحصيل الأكاديمي.

-الانغماس الثقافي يتمثل في معرفة ثقافة البلاد بكل جزئياتها عملة البلد، لغة التحايا والمناسبات الدينية والاجتماعية والأماكن السياحية والترفيهية ...

-الانغماس المستند: موضوع أو غرض خاص:

-انغماس المحمية (حماية المتعلم من التكلم بلغته الأم (الانغماس المساعد أو الارتباطي) دورتين: واحدة تهم بالمحتوى والأخرى تركز على اللغة يكمل بعضها بعضا من حيث تنسيق المهام.

تجارب رائدة للانغماس اللغوي بالوطن العربي:

أحب أن أشير هنا إلى تجربة رائدة في الوطن العربي، الا وهي تجربة الدكتور في العلوم اللغوية عبد الله دنان[3]، والذي أسس لتجربة أو كما يسميها البعض نظرية تعليم اللغة العربية الفصحى بالفطرة والممارسة.

انطلاقا من النظريات الجديدة في كيفية تحصيل اللغات انطلاقا من علم اللغة النفسي، ومن عدة تجارب كتجربة سيدني حيث تمكن الأطفال من تعلم سبع لغات في آن واحد وفي سن جد مبكر.

زكت هذه التجارب نظرية نعوم تشومسكي في كونه الإنسان يحمل قدرة لغوية هائلة، فوفقا لنظرية الفطرة اللغوية، كل إنسان يولد وله آلة لاكتساب اللغة أو (Language Aquisition Divace LAD system LAS). فالإنسان يولد حاملا لهذه الآلة، ليس لغة بعينها بل يولد حاملا للقدرة الطبيعية لاكتساب اللغات.

تبدأ هذه الآلة في العمل في مرحلة جد مبكرة حتى الحادية عشر، تخضع لسمات تتشابه فيها كل اللغات .ومن كتاب النظريات اللغوية لعبد العزيز بن ابراهيم العصيلي، "تساهم هذه LAS أو LADفي معالجة المدخلات اللغوية التي يتلقاها الطفل من البيئة، وفهم نظامه لاستخلاص قواعد اللغة منه."

الفكرة هي التركيز على المحادثة باللغة العربية الفصحى من الحضانة بل والتحدث في كل المرافق المدرسية بها . (هنا نرجع إلى العهد القديم .إرسال الأطفال في سن جد مبكر إلى البادية لتعلم الفصاحة). الانغماس اللغوي بسن مبكر أكد على أن العالم العربي يعرف تدنيا في مستوى اللغة العربية لأنه دعي إلى مؤتمرات في المملكة العربية السعودية ومصر وغيرها إلى مؤتمرات للبحث في هذا الأمر ومحاولة علاج هذا الضعف العام باللغة العربية.

وجد أن في مرحلة النشاط الكبير للمخ يتعلم أبناء العرب العامية المختلفة كل الاختلاف عن الفصحى وعاميتنا ليست كالإنجليزية على سبيل المثال فما يتحدث به هو ما سيتم تعلمه كتابيا وقرائيا.

يصطدم الطفل العربي في سن السادسة من عمره أنه لا يملك لغة المعرفة فهو أتقن الدارجة لكنها مختلفة قرائيا (وعلى المستوى النحوي والصرفي وغير ذلك) اذن مخزونه اللغوي جد ضعيف.

تجربة الانغماس اللغوي بمركز قلم ولوح بمدينة الرباط بالمغرب انطلاقا من **دليل تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها تخطيط –إنتاج – تقييم** [4]

عنوان الكتاب مقسم إلى جزأين رئيسي وفرعي، الرئيسي عبارة عن جملة عبرت بشكل جلي عن مضمون الكتاب .اما الفرعي فهو عبارة عن ثلاثة مصادر (تخطيط –إنتاج –تقييم) وهو أيضا ما لمسناه .اشتمل المؤلف

على جانب نظري وآخر تطبيقي احتل حيزا مهما مما أضفى عليه صفة التفرد والأهمية خاصة أنه عبارة عن تجربة خبرة لمركز قلم ولوج بالرباط.

شمل الكتاب موضوعات تهم تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، أهمها أهمية الوعي الصوتي أي الاهتمام بالجوانب الصوتية، النطقية وأيقاعية والمقطعية .وهو ما تغفل عنه الدراسات العربية التي تهتم ببناء الكفايات التركيبية والمعجمية والدلالية هي كفايات كما أشارت الكاتبة "تتعلق أساسا بسلامة العبارة من الناحية النحوية والصرفية سواء في التواصل الشفهي أو الكتابي"[5] تم بناء المفاهيم النظرية انطلاقا من الدراسات اللسانية وعلم النفس اللغوي والنظريات المعرفية، اقتبست منها المؤلفة:

مفهوم الانغماس اللغوي Language immertion اعتماد السمع والتواصل اليومي والتكرار، مثلت له بأنجح تجربة في التاريخ وهي تعلم الأعاجم للغة العربية في صدر الإسلام.

مفهوم الغربلة الصواتية Phonological riddle ومعها استراتيجية التعويض والتي تتمثل في فقدان المتعلم أو نسيانه لمجموعة من السمات التي لا تساهم في التعارضات بين الفونيمات في لغته كغياب سمة اللثوية ونطق الثاء تاءا وكذا نطق الحلقيات بحروف أخرى قريبة من مخرجها النطقي.

نظرية انشطار الفتحة: للعلامة المغربي ادريس السفر وشني وهي نظرية في مجال الصرف تمكن من التعرف على القوالب الصبغية في اللغة العربية.

عالجت الفرق بين الوعي اللغوي الذي هو فرع من فروع اللسانيات التطبيقية والوعي اللساني: الذي ينتمي لعلم النفس اللغوي والنظريات المعرفية والتعدد اللغوي (الذي هو ضمن الوعي اللساني) أي معرفة الذهن الواحد لأكثر من لغة وفي هذا السياق أشارت إلى الوعي بالتنوعات اللغوية وأهمها التنوع اللهجي، وتدريس اللغة العربية مع الدارجة المغربية ببعض المراكز بالمغرب.

اقترحت المؤلفة المزيد من التبسيط والتدرج في المسائل المتعلقة بالاشتقاق والصرف والتحويل، كما أكدت على ضرورة مراعاة الفئات المستهدفة وأهداف التدريس وسياقاته وكذا المدة الزمنية المخصصة له وهذا وإن دل على شيء فإنه يدل على تمرسها تمرس الخبراء. نبهت لأهمية تكوين المدرسين، فمعرفة المدرس باستراتيجيات التعلم تساهم في نوفير محيط تعليمي مريح يستجيب لحاجات المتعلمين.

اعتمدت على معايير الإطار المرجعي الأمريكي Actel وما يوازيه من معايير IRL في وضع أسس مضبوطة لقياس الكفاءة في المهارات الأربع الاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة، حتى يتم تصنيف المتعلمين بالمستويات التعليمية المناسبة.

كل مهارة تعتمد على مؤشرات، فمثلا مهارة الاستماع تعتمد على مؤشر الفهم لقياس الكفاءة اللغوية. ومهارة المحادثة تعتمد على مؤشر التفاعل، أما القراءة الصامتة فتعتمد على مؤشر القدرة التحليلية والقراءة الجهرية تعتمد على مؤشر القدرة النطقية إضافة للفهم. أما مهارة الكتابة فتنقسم إلى مرحلتين :مرحلة الخط وتتحكم في قياسها مؤشرات قدرة الملاحظة البصرية والقدرة الحسية حركية ومرحلة الكتابة Rédactionتتحكم فيها مؤشرات الفهم والذاكرة والإبداع.

انتقاد: ACTFL

- في ص 47 هناك انتقاد للاكتفل حيث أنه يهتم بالمخرجات (مكونات اللغة من صرف وصوت وتركيب ومعجم ودلالة) ولا يهتم بالمدخلات أي الأدوات (قواعد اللغة).
- في ص 69 ذكرت المؤلفة أن الا كتفل يكتفي بوصف ما يعرفه المتعلم وما يستطيع تنفيذه من مهام لغوية دون الدخول في العمليات الذهنية المرتبطة بهذه المهام. لذا اقترحت المزاوجة بين ما يسطره الاكتفل وما توصلت إليه الأبحاث في مجال اللسانيات التطبيقية والتعليمية من أجل بلورة برنامج دقيق للقياس والتصنيف.

اذن نجد:

- في ص 178 استماع /مقطع تسجيلي حبذا لو وضعت المؤلفة رابط المقطع التسجيلي.

نتمنى أن يكون هناك جزء ثان للكتاب يحتوي على جميع المستويات من المبتدئ إلى المتميز مع تنويع المواضيع حسب المستوى العمري والسياقات.

خاتمة:

الانغماس اللغوي يكون حاضرا بقوة في أغلب طرق تعليم وتعلم اللغة الثانية، وذلك لأهمية الدور الاتصالي الاجتماعي للغة حيث يتم تزويد المتعلم بكفايات متعددة مهارية ولغوية وثقافية. أخيرا ومن خلال هذا المنبر الثقافي المحكم الرائد والذي يلتقي فيه ثلة من أساتذة اللسانيات من الوطن العربي قاطبة أدعو لانخراط اللسانيات التطبيقية بشكل علمي إجرائي في مجتمع المعرفة وذلك بإعطاء وبناء دور تنموي للغة. هي تجارب متميزة يمكنها أن تكون هي الحل لمعالجة الضعف باللغة العربية بالعالم العربي. كيف ذلك؟

ربما باعتماد اللسانيات الحاسوبية لخطاب إلكتروني وربط تعلم اللغة باللغة الرقمية والتقنيات والتطبيقات المساعدة في ذلك. ربما بتقديم نموذج عربي أكاديمي موحد يعتبر كدليل مرجعي على غرار الإطار الأوربي المرجعي المشترك للغات CEFR أو الإطار المرجعي الأمريكي .ACTFL هي دول متفرقة لغويا وثقافيا وغير ذلك لكن مع ذلك اتفقوا على إطار مرجعي موحد. نجد كدول عربية لدينا لغة عربية فصحى موحدة، ثقافات متقاربة إلى حد ما ورغم ذلك لم نتمكن من إنجاز وتوحيد إطار مرجعي عربي وبالتالي فتح مراكز تستفيد منها الدول العربية اقتصاديا.

الهوامش:

1 الدرويش، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد، دار البلغي، حلبوني، مكتبة الهداية، 2004، ص 04.

2 صقر، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق السيد أحمد صقر 1977، دار احياء الكتب العربية، ص 77.

3 رائد مصطفى محمود وآخرون، الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الرياض 2019، ص 19.

4 الدنان عبد الله، نظرية تعليم اللغة العربية بالفطرة والممارسة، الشارقة المنتدى الإسلامي، 2014، ص 14.

5 النهيبي، ماجدولين، دليل تدريس الغة العربية للناطقين بغيرها تخطيط-إنتاج-تقييم، 2020، ص 20.